سورة الكوثر، تدبر وهدايات: دراسة قرآنية

Surah Al-Kawthar, contemplation and guidance, Quranic study

10.35781/1637-000-115-002

د. إنعام بنت محمد مصطفى بديوي*

*الأستاذ المشارك في القرآن وعلومه، بقسم الدراسات الإسلامية
بكلية الشريعة والقانون، بجامعة تبوك بالمملكة العربية السعودية

الملخص

لا ريب أن إدامة قراءة القرآن الكريم، وتدبر ألفاظه وعباراته وأساليبه من أعظم السبل للوقوف على دقائق معانيه، وأحكامه وحِكَمه، ووجوه إعجازه، وروعة بيانه، وعظيم هداياته، ومن ثم يهدف هذا البحث: (سورة الكوثر، تدبر وهدايات، دراسة قرآنية)، إلى معايشة القرآن الكريم، بتدبر آيات هذه السورة الكريمة، وبيان جوانب من هداياتها، وتقديم تغذية قرآنية إيمانية تشرح القلوب وتطيب النفوس وتريحها من عناء الحياة المادية. وقد قام البحث على ثلاثة مناهج هي: الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي. وجاء في مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة، التمهيد: تدبر القرآن الكريم وهداياته (تعريف وبيان). والمطلب الأول: بين يدي سورة (الكوثر). والمطلب الثاني: من الهدايات القرآنية في سورة (الكوثر). ومن أهم نتائجه: أن من أجل الأعمال: تدبر القرآن الكريم ومعايشته، والبحث في هداياته، للوقوف على درر المعاني، ووجوه الإعجاز. وأن هذه السورة الكريمة قد تضمنت على صغرها أجل المعاني وأبلغ الهدايات. وأن هدايات القرآن لا تنتهي ولا تتناهى، وهي بحر لا ساحل؛ لأنها مستنبطة من معين القرآن الكريم الذي لا ينضب، ولا ينتهي.

الكلمات المفتاحية: سورة الكوثر - تدبر - هدايات - دراسة قرآنية.

ISSN : 2410-1818

Surah Al-Kawthar, contemplation and guidance, Quranic study

Dr. In'am bint Muhammad Mustafa Badawi*

***Associate Professor of the Qur'an and its Sciences, Department of Islamic Studies, College of Sharia and Law, University of Tabuk, Kingdom of Saudi Arabia**

Abstract

There is no doubt that continuing to read the Holy Quran, and contemplating its words, phrases and styles is one of the greatest ways to understand the subtleties of its meanings, its rulings and wisdoms, the aspects of its miraculousness, the magnificence of its expression, and the greatness of its guidance. Therefore, this research (Surat Al-Kawthar, contemplation and guidance, a Quranic study) aims to experience the Holy Quran by contemplating the verses of this noble Surah, clarifying aspects of its guidance, and providing Quranic faith-based nourishment that opens hearts, soothes souls, and relieves them from the burdens of material life. The research was based on three approaches: inductive, analytical, and deductive. It included an introduction, a preface, two sections, and a conclusion. The preface: contemplating the Holy Quran and its guidance (definition and explanation). The first section: before Surat Al-Kawthar. The second section: from the Quranic guidance in Surat Al-Kawthar. Among its most important results: that the most important of deeds is to contemplate the Holy Quran and live it, and research its guidance, to discover the pearls of meanings and aspects of miracle. And that this noble Surah, despite its small size, contains the most sublime meanings and the most eloquent guidance. And that the guidance of the Quran is endless and limitless, and it is an ocean without a shore; because it is derived from the source of the Holy Quran that does not dry up or end.

Keywords: Surah Al-Kawthar - contemplation - guidance - Quranic study.

ISSN : 2410-1818

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، ونوره المبين، الذي لا يخلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، أمرنا الله عز وجل بتدبره فقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]، ونعى على الذين لا يتدبرون آياته فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: 82]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]؛ لأن إدامة النظر فيه والتفكر في دلالات ألفاظه وأساليبه وعباراته هو الطريق الأول لمعرفة دقائق معانيه، وأحكامه، وحِكَمه، ووجوه إعجازه، وروعة بيانه، وعظيم هداياته.

وإن مما يأخذ بالألباب ويقف دليلا شاهدا على روعة إعجازه وبيانه: أن معاني آياته لا تنتهي، وأسرار بيانه لا تتوقف، وكلما نظر القارئ فيه – لا سيما المتخصص – وجد دررا من المعاني وكنوزا من الهدايات، حتى إنه لا تخلو آية من آياته بل لا يخلو لفظ من ألفاظه من هداية أو هدايات، يُبَصِّر الله تعالى بها من أراد من عباده.

وقد اخترت أقصر سورة من سوره، هي سورة (الكوثر)؛ لأقف وقفات تدبرية مع دقة ألفاظها، وروعة أساليبها، وجلال معانيها، وجمال هداياتها، وأسميت البحث: (سورة الكوثر، تدبر وهدايات، دراسة قرآنية).

أهداف البحث: وتتمثل في الآتي:

1- معايشة القرآن الكريم، بتدبر آيات هذه السورة الكريمة (سورة الكوثر)، وبيان جوانب من هداياتها.

2- تقديم تغذية قرآنية إيمانية تشرح القلوب وتطيب النفوس وتريحها من عناء الحياة المادية.

ISSN : 2410-1818

الدراسات السابقة:

نالت سورة (الكوثر) كغيرها من سور القرآن الكريم اهتمام العلماء من قديم، لا سيما المفسرين، لكني لم أعثر على دراسة تناولتها بهذه المنهجية، ومما عثرت عليه:

1- سورة الكوثر، دراسة تحليلية موضوعية، للدكتور: محمد أحمد الجمل، بحث منشور بمجلة العلوم الشرعية، بجامعة القصيم، بالسعودية، عام 2011م.

- وقد جاء في مقدمة وفصلين، الفصل الأول: مقدمات حول السورة الكريمة، والفصل الثاني: التفسير التحليلي للسورة.

- والبحث قائم على الدراسة التحليلية الموضوعية للسورة الكريمة، ولم يتخصص في بيان دلالات ألفاظها وأساليب تعبيرها ووجوه هداياتها.

2- مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء سورة الكوثر، للدكتور/ عواد بن مرزوق السناني، بحث منشور بمجلة أبحاث، بجامعة الحديدة، باليمن، 2021م.

- وقد جاء في مقدمة وتمهيد ومبحثين، المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة، والمبحث الثاني: مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء السورة الكريمة.

- والبحث دراسة موضوعية، قائمة على بيان عظمة العطاء الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم في ضوء هذه السورة الكريمة، ولم يعن ببيان دلالات ألفاظها وأساليب تعبيرها ووجوه هداياتها.

3- سورة الكوثر، فوائد وعبر، للأستاذ/ عمر حمرون، كتيب منشور بمجلة الإصلاح، طبعة دار الفضيلة للنشر والتوزيع، بالجزائر، 2010م.

- وهو كتيب صغير من ثماني صفحات، تناول فيها بعض الفوائد والعبر في هذه السورة الكريمة. ولم يعن ببيان دلالات ألفاظها وأساليب تعبيرها ووجوه هداياتها.

- وهكذا لم تتناول تلك الدراسات هذه السورة الكريمة (سورة الكوثر) بمنهجية البحث الحالي، ولا بمحتواه.

ISSN : 2410-1818

منهج البحث:

قام هذا البحث على ثلاثة مناهج هي: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي، حيث تم استقراء أكثر كتب التفسير وعلوم القرآن، للوقوف على ما جادت به قرائح الأئمة في تفسيرها، ثم تم تحليل ألفاظها وعبارتها، واستنباط ما يمكن من وجوه معانيها وهداياتها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقسم إلى مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة.

المقدمة: في بيان أهمية الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: تدبر القرآن الكريم وهداياته (تعريف وبيان).

المطلب الأول: بين يدي سورة (الكوثر).

المطلب الثاني: من الهدايات القرآنية في سورة (الكوثر).

الخاتمة: في أهم نتائج البحث وتوصياته

ISSN : 2410-1818

التمهيد

تدبر القرآن الكريم، وهداياته

(تعريف وبيان)

أولا : مفهوم تدبر القرآن الكريم:

(أ) التدبر في اللغة:

الدَّالُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٍ، وَهُوَ آخِرُ الشَّيْءِ وَخَلْفُهُ خِلَافُ قُبُلِهِ، يقال: دُبُرُ كُلِّ شَيْءٍ: عَقِبُه ومُؤخَّرُه، وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّراً أَي بِأَخَرَةٍ؛ والتَّدْبِيرُ فِي الأَمر: أَن تَنْظُرَ إِلى ما تَؤُول إِليه عَاقِبَتُهُ، والتَّدَبُّر: التَّفَكُّرُ في الأمر. وَفُلَانٌ مَا يَدْرِي قِبَالَ الأَمْرِ مِنْ دِباره أَي أَوَّله مِنْ آخِرِهِ. وَيُقَالُ: إِن فُلَانًا لَوِ اسْتَقْبَلَ مِنْ أَمره مَا اسْتَدْبَرَهُ لَهُدِيَ لِوِجْهَةِ أَمْرِه، أَي: لَوْ عَلِمَ فِي بَدْءِ أَمره مَا عَلِمَهُ فِي آخِرِهِ لاسْتَرْشَدَ لأَمره. وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ لِبَنِيهِ: يَا بَنِيَّ لَا تَتَدَبَّرُوا أَعجاز أُمور قَدْ وَلَّتْ صُدُورُها. والتَّدْبِيرُ: أَن يَتَدَبَّرَ الرجلُ أَمره ويُدَبِّرَه أَي يَنْظُرَ فِي عَوَاقِبِهِ. وقيل: (التَّدْبِيرُ) فِي الْأَمْرِ: النَّظَرُ إِلَى مَا تَئُولُ إِلَيْهِ عَاقِبَتُهُ، و(التَّدَبُّرُ) التَّفَكُّرُ فِيهِ[1].

فالتدبر: النظر في عواقب الأمور[2]. وهو بهذا لا يختلف عن معناه في أصل اللغة.

(ب) (تدبر القرآن الكريم) في اصطلاح المفسرين:

اتفقت كلمة المفسرين على أن تدبر القرآن يعني: تأمل آياته، ودلالات ألفاظه، ومعانيه، والنظر والتفكر فيه، وتبصر ما فيه من الأمر والنهي والمواعظ والتذكير.

روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]، أنه قال: "أفلا يتدبّرون القرآن فيتفكّرون فيه، فيرون تصديق بعضه لبعض، وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي، وأن أحداً من الخلائق لا يقدر عليه"[3].

---

(1) مقاييس اللغة لابن فارس: 2/ 324، ولسان العرب لابن منظور: 4/ 268- 273، مادة (دبر).

(2) الفروق اللغوية للعسكري: ص: 75، والتعريفات للجرجاني ص: 54.

(3) زاد المسير لابن الجوزي: 1/ 438، ولباب التأويل للخازن: 1/ 402..

ISSN : 2410-1818

وقال البغوي: "يعني: أفلا يتفكرون في القرآن، والتدبر: هو النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره"(4).

وقال الزمخشري: "تدبُّرُ الأمر: تأمُّله والنظر في إدباره وما يؤل إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه"(5).

وقال الطاهر بن عاشور في بيانه: معنى (يتدبرون القرآن) أي: يتأملون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما: أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله، وثانيهما: أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق"(6).

ثانيا: مفهوم هدايات القرآن الكريم:

(أ) الهدايات في اللغة:

الهدايات جمع هداية، والهداية، مأخوذة من هدى يَهْدي هدايةً، يقال: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ أَهْدِيهِ هِدَايَةً؛ هَذِهِ لُغَةُ الْحِجَازِ، وَلُغَةُ غَيْرِهِمْ يَتَعَدَّى بِالْحَرْفِ، فَيُقَالُ: هَدَيْتُهُ إِلَى الطَّرِيقِ وَلِلطَّرِيقِ، وَهَدَاهُ اللَّهُ إِلَى الإِيمَانِ هُدًى، وَالْهُدَى: الْبَيَانُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ [السجدة: 26] أي: أَوَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ. ومنه طلب الهُدَى منه تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ۝٢٤ ﴾ [الحج: ٢٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ ﴾ [الشورى: ٥٢]، والْهُدَى: الرَّشَادُ وَالدَّلالَةُ، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ. يُقَالُ: هَدَاهُ اللَّهُ لِلدِّينِ يَهْدِيهِ هُدًى(7).

(4) معالم التنزيل: 1/ 667.

(5) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/ 540، وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: 2/ 83، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: 2/ 86.

(6) التحرير والتنوير: 5/ 137، 138.

(7) الصحاح للجوهري: 6/ 2533، 2534، ولسان العرب: 15/ 354، 355، مادة (هدي).

ISSN : 2410-1818

(ب) (هدايات القرآن الكريم) في الاصطلاح:

عرفها بعض المعاصرين بأنها: "الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر"(8).

والدلالة: "ما يتوصل بها إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعاني"(9).

ولا يتوصل إلى هدايات القرآن الكريم إلى من خلال الوقوف على دلالات ألفاظه وسياقاتها، المبينة لمعانيه، وأحكامه، وحِكَمه، وتوجيهاته، ولا يكون ذلك إلا من خلال القراءة المتأنية بتدبر وإمعان.

ولا ريب أن هدايات القرآن الكريم تكمن في دلالات ومعاني ألفاظه، وأسرار تعبيره، وروعة أساليبه، وسياقات آياته، وما يحويه من صور الإعجاز البلاغي التي لا تنتهي ولا تتناهى.

"فلا تخلو آية قرآنية ولو كانت من كلمة واحدة من هداية ظاهرة أو مستنبطة، ولهذا قد تكون الهداية في كلمة قرآنية واحدة، وقد تكون في آية واحدة، وقد تكون الهداية مستنبطة من مجموع آيات السورة، أو من موضوع في القرآن الكريم كله، وقد تجتمع عشرات الهدايات في اللفظ القرآني الواحد، أو في الآية الواحدة، فسبحان من هذا كلامه!"(10).

(8) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، د/ طه عابدين: ص44.

(9) المفردات في غريب القرآن للراغب: ص171.

(10) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية: ص47، بتصرف وتلخيص.

ISSN : 2410-1818

المطلب الأول

بين يدي سورة (الكوثر)

أولاً: أسماء هذه السورة الكريمة:

سميت هذه السورة الكريمة بثلاثة أسماء في كتب الحديث الشريف وكتب التفسير:

1- الاسم الأول: سورة (الكوثر):

سميت بذلك في سنن الترمذي، وفي السنن الكبرى للنسائي، والمستدرك على الصحيحين للحاكم[11]. وقال الطاهر بن عاشور: "سميت هذه السورة في جميع المصاحف التي رأيناها وفي جميع التفاسير أيضاً سورة (الكوثر)[12].

ولم يذكرها السيوطي مع السور التي لها أكثر من اسم[13].

(11) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الكوثر: 5/ 449، والسنن الكبرى للنسائي: كتاب التفسير: 6/ 523، والمستدرك على الصحيحين للحاكم: كتاب التفسير: 2/ 585.

(12) التحرير والتنوير: 30/ 571.

وينظر: جامع البيان للطبري: 30/ 320، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: 10/ 3470، وبحر العلوم للسمرقندي: 3/ 601، والكشف والبيان للثعلبي: 10/ 307، النكت والعيون للماوردي: 6/ 307، وتفسير القرآن للسمعاني: 6/ 290، ومعالم التنزيل للبغوي: 4/ 533، والكشاف للزمخشري: 4/ 811، والمحرر الوجيز لابن عطية: 5/ 529، وزاد المسير لابن الجوزي: 9/ 247، والتفسير الكبير للرازي: 32/ 110، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 20/ 216، ولباب التأويل للخازن: 7/ 300، والتسهيل لابن جزئ: 4/ 220، والبحر المحيط لأبي حيان: 8/ 520، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 4/ 557، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل: 20/ 519، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود: 9/ 205، وفتح القدير للشوكاني: 5/ 502، وروح المعاني للألوسي: 30/ 244.

(13) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 187- 199.

ISSN : 2410-1818

2- الثاني: سورة (إنا أعطيناك):

سماها البخاري بذلك في صحيحه، في كتاب التفسير في عنوان الباب[14]. وسميت به أيضا في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن[15].

3- الثالث: سورة (النحر): سميت بذلك في بعض كتب التفسير[16].

ثانيا: زمان نزولها:

سورة الكوثر من السور المختلف في زمان نزولها[17].

- فهي مدنية: في قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وقتادة، وسعيد بن جبير، وهو قول بعض المفسرين[18].

واحتجوا بما أخرجه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (بَيْنَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ بين أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: ما أَضْحَكَكَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١ – ٣]، ثُمَّ قال: أَتَدْرُونَ ما الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: فإنه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل عليه خَيْرٌ كَثِيرٌ، هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يوم الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ منهم، فَأَقُولُ: رَبِّ إنه من أُمَّتِي، فيقول: ما تَدْرِي ما أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ). زَادَ بن حُجْرٍ في حَدِيثِهِ: (بين أَظْهُرِنَا في الْمَسْجِدِ) وقال: (ما أَحْدَثَ بَعْدَكَ)[19].

(14) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب: تفسير سورة (إنا أعطيناك الكوثر) 4/ 1899.

(15) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي: 4/ 445، وجمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي: 1/ 38

(16) نظم الدرر للبقاعي: 8/ 547، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي أيضا: 3/ 256، وحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي: 8/ 401.

(17) يراجع: الإتقان في علوم القرآن: 1/ 46.

(18) زاد المسير: 9/ 247، والجامع لأحكام القرآن: 20/ 216، ولباب التأويل: 7/ 300، والبحر المحيط: 8/ 520، وفتح القدير للشوكاني: 5/ 502، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 4/ 557، والتحرير والتنوير: 30/ 572.

(19) أخرجه بلفظه: مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب: حجة من قال إن البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة: 1/ 300 ح(400).

ISSN : 2410-1818

فقول أنس رضي الله عنه: (بين أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ) يدل على أن نزول هذه السورة الكريمة كان في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، أي بعد الهجرة.

قال ابن كثير: "وقد استدل بهذا الحديث كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية"[20].

- وهي مكية: في قول ابن عباس، وعائشة، وعبد الله بن الزبير، وعطاء، والسدي، والكلبي، ومقاتل، وهو قول جمهور المفسرين[21].

واحتجوا بما روي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير؛ من أن نفرا من صناديد قريش لمزوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم بأنه أبتر، أي: لا عقب له، فنزلت هذه السورة ردا عليهم، قيل إن قائل ذلك هو: العاص بن وائل، وقيل: عقبة بن أبي معيط، وقيل: أبو جهل، وقيل: أبو لهب[22].

والمحققون من المفسرين على أن ظاهر الآية العموم، وأن هذا شأن كل من يبغض النبيّ صلى الله عليه وسلم، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[23].

ولعل هذه السورة الكريمة مما تكرر نزوله، فنزلت مرتين، مرة قبل الهجرة، ومرة بعدها؛ قال الشهاب: "لبعضهم تأليف صحح فيه أنها نزلت مرّتين؛ وحينئذ فلا إشكال"[24].

---

(20) تفسير القرآن العظيم: 4/ 557.

(21) بحر العلوم للسمرقندي: 3/ 601، والكشف والبيان للثعلبي: 10/ 307، وتفسير القرآن للسمعاني: 6/ 290، ومعالم التنزيل للبغوي: 4/ 533، والكشاف للزمخشري: 4/ 811، والمحرر الوجيز لابن عطية: 5/ 529، وزاد المسير لابن الجوزي: 9/ 247، والتفسير الكبير للرازي: 32/ 110، وأنوار التنزيل للبيضاوي: 5/ 536، ومدارك التنزيل للنسفي: 4/ 360، ولباب التأويل للخازن: 7/ 300، وغرائب القرآن للنيسابوري: 6/ 575، والبحر المحيط لأبي حيان: 8/ 520، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود: 9/ 205. زاد المسير: 9/ 247، والجامع لأحكام القرآن: 20/ 216، ولباب التأويل: 7/ 300، والبحر المحيط: 8/ 520، وفتح القدير للشوكاني: 5/ 502.

(22) تفسير عبد الرزاق: 3/ 402، وجامع البيان للطبري: 30/ 329، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: 10/ 3470، 3471، وأسباب النزول للواحدي: ص466.

(23) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 4/ 560، وفتح القدير: 5/ 503، وروح المعاني: 30/ 248.

(24) حاشية الشهاب على البيضاوي: 8/ 402.

ISSN : 2410-1818

قال السيوطي: "صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بأن من القرآن ما تكرر نزوله؛ تذكيرا وموعظة، وذكر من ذلك خواتيم سورة النحل وأول سورة الروم، وآية الروح، وسورة الفاتحة"(25).

ثالثا: المناسبات في هذه السورة الكريمة:

بين بعض المفسرين كثيرا من دقائق التناسق في ترتيب هذه السورة الكريمة ومن ذلك: بيانهم للمناسبة بينها وبين ما سبقها من سور، وبينها وبين سابقتها (سورة الماعون)، وبين أولها وآخرها.

- فمن وجوه المناسبة بينها وبين السور التي قبلها:

قول الرازي: "هي كالتتمة لما قبلها من السور؛ لأن الله تعالى جعل سورة (والضحى) في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيل أحواله، فذكر في أول السورة ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته: أولها: قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، وثانيها: قوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى:4] وثالثها: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، ثم ختم هذه السورة بذكر ثلاثة أحوال من أحواله عليه السلام فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: 6-8].

ثم ذكر الله تعالى في سورة: (ألم نشرح) أنه شرفه بثلاثة أشياء: أولها: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾، وثانيها: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾، وثالثها: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾.

ثم إنه تعالى شرفه في سورة: (التين) بثلاثة أنواع من التشريف: أولها: أنه أقسم ببلده وهو قوله: ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾، وثانيها: أنه أخبر عن خلاص أمته عن النار وهو قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وثالثها: وصولهم إلى الثواب وهو قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾.

وهكذا أخذ الإمام يشرح ما شرَّف الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم في السور الكريمة: (العلق)، و(القدر)، و(البينة)، و(الزلزلة)، و(العاديات)، و(القارعة)، و(ألهاكم)، و(العصر)، و(الهمزة)، و(الفيل)، و(قريش)، و(الماعون).

(25) الإتقان: 1/ 104. بتصرف يسير.

ISSN : 2410-1818

ثم إنه سبحانه وتعالى لما شرفه في هذه السور من هذه الوجوه العظيمة، قال بعدها: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ أي: إنا أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة في السور المتقدمة، التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها، فاشتغل أنت بعبادة هذا الرب، وبإرشاد عباده إلى ما هو الأصلح لهم. أما عبادة الرب: فإما بالنفس، وهو قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، وإما بالمال، وهو قوله: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾. وأما إرشاد عباده إلى ما هو الأصلح لهم في دينهم ودنياهم: فهو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾، فثبت أن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور"[26].

- **ومن وجوه المناسبة بينها وبين السورة التي قبلها (سورة الماعون):**

ما قاله أبو جعفر بن الزبير: "لما نهى الله تعالى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتعزز بالمال والجاه وطلب الدنيا، أتبع ذلك بما منح نبيه صلى الله عليه وسلم مما هو خير مما يجمعون، وهو (الكوثر): وهو: الخير الكثير، ومنه: الحوض الذي ترده أمته في القيامة، لا يظمأ من شرب منه، ومنه: مقامه المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون عند شفاعته العامة للخلق وإراحتهم من هول الموقف، ومن هذا الخير: ما قدم له في دنياه من تحليل الغنائم، والنصر بالرعب، والخلق العظيم، إلى ما لا يحصى من خيري الدنيا والآخرة، مما بعض ذلك خير من الدنيا وما فيها، إذ لا تعدل الدنيا وما فيها واحدة من هذه العطايا. ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: 58] ومن الكوثر والخير الذي أعطاه الله تعالى: كتابه المبين، الجامع لعقل الأولين والآخرين، والشفاء لما في الصدور.

وبهذا يضمحل في جانب نعمة الكوثر الذي أوتي كلُّ ما ذكره الله تعالى في الكتاب من نعيم أهل الدنيا، وهذا أحد أسرار تأخير هذه السورة، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا، ولا ذكر أحد من المتنعمين بها؛ لانقضاء هذا الغرض وتمامه، وسورة (الماعون) هي آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك، والله تعالى أعلم"[27].

(26) التفسير الكبير: 32/ 111، 112.

(27) البرهان في تناسب سور القرآن: ص379، 380. بتصرف يسير.

ISSN : 2410-1818

- ومن وجوه المناسبة بين أولها وبين آخرها:

ما قاله الرازي: "أن الله تعالى لما بشر نبيه صلى الله عليه وسلم في أولها بالنعم العظيمة، والخيرات الكثيرة، وعلم تعالى أن النعمة لا تهنأ إلا إذا صار العدو مقهوراً، لا جرم وعده في آخرها بقهر العدو، فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ...

ويصح أن يقال: لما وَصَفَ العدوُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالقلة والذلة، ونفسه بالكثرة والدولة، قلب الله تعالى الأمر عليه، وقال: العزيز من أعزه الله، والذليل من أذله الله، فالكثرة والكوثر لرسول الله عليه الصلاة والسلام، والأبترية والدناءة والذلة للعدو، فحصل بين أول السورة وآخرها نوع من المطابقة لطيف ...

ويصح أن يقال: لما تكفل الله تعالى أولاً بإفاضة النعم عليه صلى الله عليه وسلم تكفل في آخر السورة بالذب عنه وإبطال قول أعدائه، وفيه إشارة إلى أنه سبحانه هو الأول بإفاضة النعم، والآخر بتكميل النعم في الدنيا والآخرة، والله سبحانه وتعالى أعلم"[28].

رابعا: مقاصدها:

- أما المقصد الرئيس لهذه السورة الكريمة:

فيقول فيه الشاطبي: "وهذه السورة الكريمة خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كسورة (الضحى)، وسورة (الشرح)، يُسَرِّي عنه ربه فيها، ويَعِدُه بالخير الكثير، ويوجهه إلى طريق الشكر، ويتوعد أعداءه بالبتر"[29].

ويقول البقاعي: "ومقصودها: المنحة للمنزل عليه صلى الله عليه وسلم بكل خير يمكن أن يكون، واسمها "الكوثر" واضح في ذلك"[30].

(28) التفسير الكبير: 32/ 126، بتلخيص.

(29) الموافقات للإمام الشاطبي: 3/ 415. بتصرف يسير.

(30) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: 3/ 256.

ISSN : 2410-1818

- وأما مقاصدها العامة[31]:

- فقد افتتحت هذه السورة الكريمة ببيان فضل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بأعظم العطاء؛ الكوثر، أي: الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومنه: نهر الكوثر في الجنة، وحوضه صلى الله عليه وسلم.

- ثم ثَنَّتْ السورة بأَمْرِه صلى الله عليه وسلم بأن يشكر الله تعالى على ذلك العطاء بالإقبال عليه تعالى بالعبادة البدنية ومثالها الصلاة، والعبادة المالية ومثالها الصدقة.

- وخُتمت السورة الكريمة ببشارة الرسول صلى الله عليه وسلم بأمرين:

أولهما بدلالة النص: وهو إخبار الله تعالى بقطع مبغضيه صلى الله عليه وسلم من كل خير في الدنيا والآخرة، في الحقيقة ونفس الأمر، وإن نالوا من الدنيا ما نالوا؛ لأن غضب الله تعالى عليهم بتَرٌ لهم من كل خير، أما انقطاع الولد الذكر فليس بترا؛ لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان.

والثاني بدلالة المفهوم: وهو رفعة النبي صلى الله عليه وسلم، وبقاء ذكره مرفوعا على المنائر والمنابر خالدا إلى آخر الزمان، وذلك هو الكمال الحق، لا ما يتطاول به المشركون من المال والولد.

(31) التحرير والتنوير: 30/ 572، بتصرف وزيادة.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني

من الهدايات القرآنية في سورة (الكوثر)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر: ١ – ٣].

أولا: من الهدايات القرآنية في قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾.

- افتتحت السورة بحرف التأكيد (إنَّ) الجاري مجرى القسم، وكلام الله تعالى مصون عن الخلف، فكيف إذا بالغ في التأكيد!، وذلك للاهتمام بالخبر، وللإشعار بأنه شيء عظيم؛ هو التنويه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم، والكلام مسوق مساق البشارة وإنشاء العطاء، لا مساق الإخبار بعطاء سابق[32].

- تضمن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ﴾ الدلالة على تعظيم المعطِي سبحانه وتعالى، وعظمة المعطَى صلى الله عليه وسلم، وعِظَم العطية.

قال الرازي: "فقوله تعالى: ﴿إِنَّآ﴾ تارة يراد به الجمع، وتارة يراد به التعظيم. أما الأول: فقد قامت الأدلة القاطعة على أن الله واحد لا شريك له، فلا يمكن حمله على الجمع. وأما الثاني: وهو أن يكون ذلك محمولاً على التعظيم، فهو اللائق بعظمة الله سبحانه، وفيه تنبيه على عظمة العطية؛ لأن الواهب: هو جبار السماوات والأرض، وعلى عظمة المعطَى، وهو الموهوب له، النبي صلى الله عليه وسلم المشار إليه بكاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾. والعطية: هي الكوثر، وهو لفظ يفيد المبالغة في الكثرة؛ فهي إذًا عظمة من جميع الوجوه؛ حيث أشعر اللفظ بعظم الواهب والموهوب له والموهوب، فيا لها من نعمة ما أعظمها! وما أجلها! ويا له من تشريف ما أعلاه!"[33].

(32) التفسير الكبير: 32/ 115، الدر المصون: 11/ 128، 129، والسراج المنير: 4/ 695، والتحرير والتنوير: 30/ 572.

(33) التفسير الكبير: 32/ 114. بتصرف.

ISSN : 2410-1818

❁ دل استهلال السورة الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١] على أنه إعطاءٌ كثيرٌ من كثير[34]؛ إذ إنه من المعطي الوهاب سبحانه وتعالى.

❁ ولما كان الموعود به أمراً عظيماً وكان عِظَمُه يورث الشك في الوفاء به أسند الفعل (أعطى) إلى (نا) الدالة على الله تعالى، ليفيد تأكيد هذا العطاء، ويرفع الشك.

قال الرازي: "وذلك إذا كان الموعود به أمراً عظيماً فلما تقع المسامحة به فعِظَمُه يورث الشك في الوفاء به، فإذا أسند إلى المتكفل العظيم، فحينئذ يزول ذلك الشك، وهذه الآية من هذا الباب؛ لأن الكوثر شيء عظيم، فلما تقع المسامحة به، فلما قدم المبتدأ، وهو قوله: ﴿إِنَّآ﴾ صار ذلك الإسناد مزيلاً لذلك الشك ودافعاً لتلك الشبهة[35].

❁ في مجيء قوله تعالى: ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ بلفظ الماضي دون المستقبل: (سنعطيك)؛ دلالة على تحقق وقوع العطية وثبوتها، وهي كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ﴾ [النحل: 1][36].

❁ كما أن في مجيئه بلفظ الماضي دلالة واضحة على عظيم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم[37].

❁ وفي إيثار التعبير بالضمير (الكاف) في ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ بدل التعبير بلفظ (الرسول) أو (النبي) الدلالة على أن تلك العطية غير معللة بعلة أصلا، وإنما هي محض الاختيار والمشيئة الإلهية.

قال الرازي: "لو قال تعالى: (أعطينا الرسول، أو النبي) لأشعر أن تلك العطية وقعت معللة بذلك الوصف، فلما قال تعالى: ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ عُلِمَ أن تلك العطية غير معللة بعلة أصلاً، بل هي محض الاختيار والمشيئة، كما قال تعالى: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[الزخرف: 32]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٧٥﴾ [الحج: 75]"[38].

(34) الدر المصون: 11/ 128، 129، والسراج المنير: 4/ 695.

(35) التفسير الكبير: 32/ 114.

(36) غرائب القرآن للنيسابوري: 6/ 575، والدر المصون: 11/ 128، 129، والسراج المنير: 4/ 695.

(37) غرائب القرآن للنيسابوري: 6/ 575.

(38) التفسير الكبير: 32/ 114.

ISSN : 2410-1818

❁ وفي التعبير بأسلوب الخطاب ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ تشريف وتعظيم، لا يوجد في أسلوب الغيبة (أعطيناه).

❁ وفي التعبير بلفظ (الإعطاء): ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ دون لفظ: (الإيتاء): (آتيناك): دلالة على معان عظيمة:

- منها: أن لفظ (الإعطاء) أبلغ في الدلالة على التفضل من لفظ: (الإيتاء) يعني أن هذه الخيرات الكثيرة في الدنيا والآخرة إنما هي محض التفضل منا إليك.

- ومنها: أن لفظ (الإعطاء): أبلغ في الدلالة على التمليك، ولأجل هذا المعنى فإن من حمل (الكوثر) على الحوض قال: الأمة تكون أضيافاً له صلى الله عليه وسلم. أما لفظ (الإيتاء): فإنه لا يفيد التمليك، ولهذا قال تعالى في حق القرآن: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧]، لأن أمته مشاركة له في ذلك، ولم يكن له صلى الله عليه وسلم منعهم منها.

- ومنها: أن لفظ (الإعطاء): يستعمل في القليل والكثير، فهو أبلغ، قال تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ﴾ [النجم: 34]. أما لفظ (الإيتاء): فإنه لا يستعمل إلا في الشيء العظيم فقط؛ قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة: 251]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: 10][39].

- ومنها: أن لفظ (الإعطاء) أبلغ من لفظ (الإيتاء)؛ لأن لفظ (الإيتاء) أصله الإحضار، وإن اشتهر في معنى الإعطاء[40].

❁ و﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: في اللغة: صيغة مبالغة من الكثرة، على وزن (فَوْعَل)؛ فالكوثر: المفرط في الكثرة؛ وهو أحسن ما فُسر به وأضبطُه، والعرب تسمي كل شيء كثيرٍ في العدد والقدر والخطر كوثراً؛ فيقال للرجل الكثير العطاء: كوثر، والكوثر: العدد الكثير من الأصحاب والأشياع[41].

(39) التفسير الكبير: 32/ 115، 116، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري: 6/ 575

(40) نظم الدرر: 8/ 547 بتصرف يسير.

(41) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص540، 541، والمفردات في غريب القرآن للراغب: ص427، ولسان العرب: 5/ 133، مادة (كثر)، والكشاف للزمخشري: 4/ 811.

ISSN : 2410-1818

- وقد اختلف المفسرون في المراد بـ (الكوثر) على ثلاثة أقوال إجمالا:

القول الأول: أنه النهر الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، وهو قول أكثر المفسرين(42).

قال القرطبي: "قلت: أصح هذه الأقوال الأوّل (أي النهر) والثاني (أي الحوض)؛ لأنه ثابت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر. وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد أُعْطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على حوضه صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً"(43).

ودليلهم: ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ومنه ما أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه في حديث المعراج، وفيه: (ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ فإذا هو بِنَهَرٍ آخَرَ عليه قَصْرٌ من لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فإذا هو مِسْكٌ أَذْفَرُ، قال: ما هذا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هذا الْكَوْثَرُ الذي خَبَأَ لك رَبُّكَ)(44).

القول الثاني: أنه حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف، وهو قول بعض المفسرين(45).

ودليلهم: ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أيضا، ومنه ما أخرجه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (بَيْنَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ بين أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: ما أَضْحَكَكَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١ – ٣]، ثُمَّ قال: أَتَدْرُونَ ما الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: فإنه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل عليه خَيْرٌ كَثِيرٌ، هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يوم الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ منهم،

(42) جامع البيان: 30/ 323، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين: 5/ 167، وتفسير القرآن للسمعاني: 6/ 290، ومعالم التنزيل: 4/ 533، والجامع لأحكام القرآن: 20/ 216، ولباب التأويل: 7/ 300، والتسهيل: 4/ 220، والسراج المنير للخطيب الشربيني: 4/ 694، 695، والبحر المحيط: 8/ 520، وتفسير القرآن العظيم: 4/ 558، 559، واللباب في علوم الكتاب: 20/ 521، وفتح القدير: 5/ 502، وروح المعاني: 30/ 244.

(43) الجامع لأحكام القرآن: 20/ 218، ويراجع: جامع البيان للطبري: 30/ 323، وفتح القدير للشوكاني: 5/ 502.

(44) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما): 5/ 2406، ح(6210).

(45) السراج المنير للخطيب الشربيني: 4/ 694، 695، ولباب التأويل للخازن: 7/ 301 – 304، والتسهيل لابن جزي: 4/ 220.

ISSN : 2410-1818

فَأَقُولُ: رَبِّ إنه من أُمَّتِي، فيقول: ما تَدْرِي ما أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ). زَادَ بن حُجْرٍ في حَدِيثِهِ: (بين أَظْهُرِنَا في الْمَسْجِدِ) وقال: (ما أَحْدَثَ بَعْدَكَ)[46].

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: "أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه، وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة، وأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما"[47].

القول الثالث: أنه الخير الكثير الذي أعطيه رسول الله صلى عليه وسلم في الدنيا والآخرة، وهو قول بعض العلماء من أهل اللغة والمفسرين[48].

ودليلهم: أن لفظ (الكوثر) في لغة العرب بناء مبالغة من الكثرة، فمعناه: المفرط في الكثرة، كما سبق بيانه. وكذلك ما صح عن ابن عباس في معناه.

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الذي أَعْطَاهُ الله إِيَّاهُ، قال أبو بِشْرٍ: قلت لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ في الْجَنَّةِ: فقال سَعِيدٌ: النَّهَرُ الذي في الْجَنَّةِ من الْخَيْرِ الذي أَعْطَاهُ الله إِيَّاهُ)[49].

قال ابن عطية: "فنعم ما ذهب إليه ابن عباس، ونعم ما تمم ابن جبير رضي الله عنهم"[50]. وقال الطاهر بن عاشور: "فسره الزمخشري بالمفرط في الكثرة، وهو أحسن ما فُسر به وأضبطُه"[51].

(46) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب: حجة من قال إن البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة: 1/ 300 ح(400).

(47) شرح النووي على صحيح مسلم: 15/ 53.

(48) معاني القرآن للفراء: 3/ 295، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص540، 541، ولسان العرب: 5/ 133، مادة (كثر)، وبحر العلوم للسمرقندي:3/ 601، والمحرر الوجيز: 5/ 529، والتفسير الكبير: 32/ 126، وأنوار التنزيل: 4/ 533، ومجموع الفتاوى لابن تيمية: 16/ 526- 531، وإرشاد العقل السليم: 9/ 205، والدر المصون: 11/ 126، والتحرير والتنوير: 30/ 572، 573.

(49) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكوثر: 4/ 1900، ح(4682).

(50) المحرر الوجيز: 5/ 529.

(51) التحرير والتنوير: 30/ 572.

ISSN : 2410-1818

- ويندرج تحت هذا القول الثالث (الخير الكثير) أقوال متعددة تعود إليه:

حيث قيل: هو الإسلام، وقيل: هو النبوّة، وقيل: هو القرآن الكريم، وقيل: هو أنه كثرة الأصحاب والأتباع، وقيل: هو الشفاعة، وقيل: هو تيسير القرآن وتخفيف الشرائع، وقيل: هو رِفعة الذكر الواردة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: 1]، وقيل: هو الصلوات الخمس(52). وقيل غير ذلك مما يندرج تحت الخير الكثير الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أبو حيان: "ينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل، لا أن الكوثر منحصر في واحد منها"(53).

ولعل الأولى – والله أعلم – أن يكون المراد بـ (الكوثر): الخير الكثير؛ لأن هذا القول يشمل كل ما سبق، بما في ذلك النهر والحوض، لأنه لا منافاة بين كل الأقوال المتقدمة، كما أنه موافق للغة، وهذا ما قرره بعض المحققين(54).

- وبناء على ما سبق؛ فقد تضمن التعبير بلفظ (الكوثر) وجوها من الهدايات، منها:

❁ إفادة لفظ (الكوثر) المبالغة في الكثرة؛ فالكوثر: المفرط في الكثرة، كما سبق بيانه عند أهل اللغة.

❁ إفادة (أل) التعريف التي للجنس الدلالة على الاستغراق، لإفادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أعطي الخير كله.

يقول ابن تيمية: "فالكوثر علامة وأمارة على تعدد ما أعده الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من الخيرات في الدنيا والآخرة... وذلك أنه أتي فيه بلام التعريف التي للجنس، الدالة على كمال المسمى وتمامه؛ كقولك: (زيد العالم، زيد الشجاع) أي: لا أعلم منه ولا أشجع منه؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ دل على أنه أعطاه الخير كله موفرا، وإن نال منه بعض أمته شيئا كان ذلك الذي ناله ببركة اتباعه والاقتداء به، مع أن له صلى الله عليه وسلم مثل أجره من غير أن ينقص من

(52) جامع البيان: 30/ 322، وتفسير ابن أبي حاتم: 10/ 3470، والكشف والبيان: 10/ 310، والنكت والعيون: 6/ 354، والمحرر الوجيز: 5/ 529، وزاد المسير: 9/ 249، وفتح القدير: 5/ 502.

(53) البحر المحيط: 8/ 521.

(54) روح المعاني: 30/ 245، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: 8/ 402، وحاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي: 4/ 605

ISSN : 2410-1818

أجر المتبع له شيء... فالكوثر نهر في الجنة، وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة"[55].

❁ في حذف الموصوف بالكوثر وإطلاق لفظه دون تقييده بنوع معين أو قدر معين دلالة على تعظيمه، وعلى تناوله كل ما هو خير، وبلوغه إلى ما لا يعرف له نهاية أو حدّ، لأن في حذفه من فَرْطِ الشِّياع والإبهامِ ما ليس في إثباتِه، فهو خير مطلق، لأنه عطاء من المعطي سبحانه وتعالى[56].

وبهذا دل لفظ (الكوثر) على كل العطايا التي أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ولو عبر بواحد من المعاني السابقة كالنهر أو الحوض أو غيرهما لم يتضمن اللفظ كل تلك العطايا.

❁ كما أن في صدور هذا العطاء الكثير من قبل الله عز وجل ما يزيده عظمة وكمالا؛ يقول الرازي: "ذاك أن الهدية وإن كانت قليلة لكنها بسبب كونها واصلة من المهدي العظيم تصير عظيمة، ولذلك فإن الملك العظيم إذا رمى تفاحة لبعض عبيده على سبيل الإكرام فإن ذلك يعد إكراماً عظيماً، لا للذة الهدية في نفسها، بل لأن صدورها من المهدي العظيم يوجب كونها عظيمة، فههنا ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ وإن كان في نفسه في غاية الكثرة، لكنه بسبب صدوره من ملك الخلائق يزداد عظمة وكمالاً[57].

ويقول البقاعي: "ولما كان كثير الرئيس أكثر من كثير غيره، فكيف بالملك؟ فكيف بملك الملوك؟، فكيف إذا أخرجه في صيغة مبالغة (الكوثر)؟، فكيف إذا كان في مظهر العظمة؟، فكيف إذا بنيت الصيغة على حرف الواو الذي له العلو والغلبة؟، فكيف إذا أتت إثر الفتحة التي لها من ذلك مثل ذلك بل أعظم؟، كان المعنى: أفضنا عليك وأبحناك من كل شيء من الأعيان والمعاني، من العلم والعمل وغيرهما من معادن الدارين ومعاونهما الخير الذي لا غاية له، فلا يدخل تحت الوصف، ... ومنه النهر الذي في الجنة، والحوض الممدود منه في المحشر، الذي مثاله في الدنيا شريعته صلى الله عليه وسلم التي عراها وأسبابها عدد النجوم، الذين هم علماء أمته المقتدى بهم. وبهذا اجتمعت له صلى الله عليه وسلم الحسنيين: أشرف العطاء من أكرم المعطين وأعظمهم سبحانه وتعالى[58].

(55) مجموع الفتاوى: 16/ 529 – 530، بتصرف يسير.

(56) الدر المصون: 11/ 128، 129، والسراج المنير: 4/ 695، بتصرف وزيادة.

(57) التفسير الكبير: 32/ 114، بتصرف يسير.

(58) نظم الدرر: 8/ 547، 548. بتصرف يسير.

ISSN : 2410-1818

❁ وبهذا يتضاءل بجانب (الكوثر) الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم كلُّ ما أعطيه الناس جميعا من خير مادي أو معنوي في الدنيا والآخرة.

❁❁❁❁

ثانيا: من الهدايات القرآنية في قوله تعالى:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾

❁ في المراد بالصلاة وبالنحر ههنا أقوال[59]:

أولها: أن المراد بالصلاة: مطلق الصلاة المشروعة، وبالنحر: مطلق نحر البُدْن؛ قاله محمد بن كعب القرظي، وهو قول جمهور المفسرين[60].

وثانيها: أن المراد صلاةٌ معينة، ونحرٌ معين. فقيل: المراد بالصلاة: صلاة عيد الأضحى، وبالنحر: النسك والذبح يوم الأضحى؛ قاله ابن عباس وأنس وعكرمة وقتادة. وقيل: المراد بالصلاة: صلاة الصبح بالمزدلفة، وبالنحر: نحر البُدْن بمنى، وقيل: يوم الحديبية؛ قاله عطاء ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير.

وثالثها: أن المراد بالصلاة: الدعاء، قاله الضحاك.

ورابعها: أن المراد بالصلاة: الشكر، قاله مجاهد وعكرمة.

وخامسها: أن المراد بالنحر: فعل يتعلق بالصلاة، أو بالدعاء. قيل: هو وضع اليد اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة، روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقيل: هو رفع اليدين حذاء النحر عند التكبير للصلاة، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل: هو الاستواء جالسا بين السجدتين

(59) تفسير عبد الرزاق: 3/ 402، جامع البيان: 30/ 326- 328، وتفسير ابن أبي حاتم: 10/ 3470، والكشف والبيان: 10/ 310، ومعالم التنزيل: 4/ 534، والدر المنثور للسيوطي 8/ 651.

(60) جامع البيان: 30/ 328، وأحكام القرآن لابن العربي: 4/ 459، والمحرر الوجيز: 5/ 529، 530، والتفسير الكبير: 32/ 120-123، والجامع لأحكام القرآن: 20/ 218-220، وأنوار التنزيل: 5/ 536، 537، ومدارك التنزيل: 4/ 360، ولباب التأويل: 7/ 304، ومجموع الفتاوى لابن تيمية: 16/ 531، والتسهيل لعلوم التنزيل: 4/ 220، والبحر المحيط: 8/ 521، ونظم الدرر: 8/ 549، وإرشاد العقل السليم: 9/ 205، وفتح القدير :5/ 503، وروح المعاني: 30/ 246، 247، والتفسير القرآني للقرآن: 16/ 1693، 1694.

ISSN : 2410-1818

حتى يبدو نحره، روي عن عطاء. وقيل: هو أن ينصب نحره بإزاء القبلة في الصلاة. وقيل: هو رفع اليدين حذاء النحر عند الدعاء، روي عن الضحاك، وسليمان التيمي[61].

❁ ولعل الراجح ههنا: أن يكون المراد بالصلاة: مطلق الصلاة، وبالنحر: مطلق النحر؛ وذلك لوجوه، منها:

أولها: أن قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ مرتب على قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ ﴾ لأن هذه الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها؛ شكرا لله تعالى على هذا العطاء العظيم، وتخصيص بعض الصلاة وبعض النحر بذلك دون بعض يعد تخصيصا بغير دليل[62].

وثانيها: أن الأشهر في الاستعمال الشرعي: استعمال الصلاة في الصلاة المشروعة مطلقا (فريضة كانت أو نافلة)، واستعمال النحر في نحر البُدْن مطلقا، نُسُكا كان أو صدقة، إلا إذا ورد التقييد فيهما. كما أن القوم كانوا يصلون للأوثان وينحرون لها، فالأنسب أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلتهم بالصلاة مطلقا والنحر مطلقا لله عز وجل[63].

ثالثها: أن اللائق بهذا الإعطاء العظيم من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون المراد من الأمر بالصلاة: الصلاة مطلقا، ومن الأمر بالنحر: النحر مطلقا.

قال ابن العربي: "والذي عندي أنه أراد: اعبد ربك، وانحر له، فلا يكن عملك إلا لمن خصك بالكوثر، والأحرى أن يكون جميع العمل يوازي هذه الخُصوصية من الكوثر، وهو الخير الكثير الذي أعطاكه الله تعالى، أو النهر الذي طِينه مسك، وعدد آنيته نجوم السماء؛ أما أن يوازِيَ هذا صلاة يوم النحر، وذبح كبش أو بقرة أو بدَنَة، فذلك يبعد في التقدير والتدبير، وموازنة الثواب للعبادة، والله أعلم"[64].

(61) جامع البيان: 30/ 325، 328، والكشف والبيان: 10/ 313، والتفسير الكبير: 32/ 121، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 219، و الدر المنثور: 8/ 650.

(62) جامع البيان: 30/ 328، بتلخيص وتصرف.

(63) التفسير الكبير: 32/ 121، 122 وروح المعاني: 30/ 247، فتح القدير: 5/ 503.

(64) أحكام القرآن لابن العربي: 4/ 459.

ISSN : 2410-1818

وفي الآية الكريمة وجوه من الهدايات، منها:

❁ أن التعبير بالفاء في هذه الآية الكريمة قد دل على أمور عظيمة:

- منها: إفادتها للسببية والتعقيب، أي: تسبب عن هذه المنة العظيمة وعقبها أَمْرُك بالتخلي لعبادة المنعم عليك وقصدك إليه بالنحر، لا كما تفعل قريش من صلاتها ونحرها لأصنامها، فإن إعطاءه تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم هذا العطاء الذي لم يعطه ولن يعطه أحد من العالمين مستوجب للمأمور به أيَّ استيجاب[65]، كأنه قيل: تكثير الإنعام عليك يوجب عليك الاشتغال بالعبودية[66].

- ومنها: إفادتها الترتيب والتعقيب، ومن ثم فإن شكر النعمة يجب أن يكون على الفور لا على التراخي[67].

- ومنها: إفادتها السببية في ترك المبالاة، كأنهم لما قالوا له صلى الله عليه وسلم: إنك أبتر، قيل له: كما أنعمنا عليك بهذه النعم الكثيرة، فاشتغل أنت بطاعتك، ولا تبال بقولهم وهذيانهم[68].

❁ أن الأمر بالصلاة ههنا أبلغ من الأمر بالشكر، مع أن الظاهر أن المقام مقام شكر على هذا الإعطاء العظيم.

وذلك "لأن الشكر عبارة عن التعظيم، وله ثلاثة أركان: أحدها: يتعلق بالقلب، وهو أن يعلم أن تلك النعمة منه لا من غيره. والثاني: باللسان، وهو أن يمدحه. والثالث: بالعمل، وهو أن يخدمه ويتواضع له. والصلاة مشتملة على هذه المعاني، وعلى ما هو أزيد منها، فالأمر بالصلاة أمر بالشكر وزيادة، فكان الأمر بالصلاة أحسن"[69].

(65) إرشاد العقل السليم: 9/ 205، وروح المعاني: 30/ 246، والدر المصون: 11/ 128.

(66) التفسير الكبير للرازي: 32/ 120.

(67) التفسير الكبير للرازي: 32/ 120.

(68) التفسير الكبير للرازي: 32/ 120.

(69) التفسير الكبير للرازي: 32/ 121، إرشاد العقل السليم: 9/ 205.

ISSN : 2410-1818

❁ مجيء التعبير بقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ دون: (فصل لنا)، مع أن الظاهر يقتضي أن يكون التعبير: "إنا أعطيناك الكوثر، فصل لنا وانحر"؛ وذلك لفوائد عظيمة:

- منها: أن وروده على طريق الالتفات من ضمير المتكلم: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ إلى الغائب في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾، وذلك من أمهات أبواب الفصاحة والبلاغة[70].

- ومنها: أن التعبير بالاسم الظاهر (رب) بدل الضمير (نا) يدل على التعظيم والجلال، وعليه قول الخلفاء لمن يخاطبونهم: يأمرك أمير المؤمنين، وينهاك أمير المؤمنين، دون: يأمرك أميرك، وينهاك أميرك[71].

❁ في التعبير بلفظ الربوبية ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ دون غيره لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته فضلا عن فرط إنعامه[72]، كما أن فيه دلالة على التربية والرعاية والعناية المشار إليها بقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾، كما يفيد أيضا: الوعد الجميل في المستقبل أنه يربيه ويرعاه ولا يتركه[73].

❁ في إضافة (رب) إلى ضمير المخاطب (الكاف) دلالة على تشريف النبي صلى الله عليه وسلم[74].

❁ في حذف متعلق (انحر) إذ التقدير: "فصل لربك وانحر له"، إيماء إلى إبطال نحر المشركين قربانا للأصنام[75]. كما أن فيه دلالة على العموم، أي: عموم ما ينحر، وفي ذلك تيسير على المؤمنين من ناحية، وترغيب في الإكثار من النحر لمن يستطيع.

(70) الدر المصون: 11/ 128، 129، والسراج المنير: 4/ 695.

(71) التفسير الكبير للرازي: 32/ 121، بتصرف يسير.

(72) التحرير والتنوير: 30/ 574.

(73) التفسير الكبير للرازي: 32/ 121، والدر المصون: 11/ 128، 129، والسراج المنير: 4/ 695.

(74) التحرير والتنوير: 30/ 574.

(75) الدر المصون: 11/ 128، 129، والسراج المنير: 4/ 695، والتحرير والتنوير: 30/ 575.

ISSN : 2410-1818

❁ أن الأمر بالصلاة إشارة إلى الأعمال الدينية التي الصلاة قِوامُها وأفضلُها، والأمرُ بالنحر إشارة إلى الأعمال البدنية التي النحرُ أَسْناها[76].

❁❁❁❁

ثالثا: من الهدايات القرآنية في قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

❁ قوله تعالى: ﴿شَانِئَكَ﴾: اسم فاعل، أي: مبغضك، والشانئ: المبغض، والشناءة: البغض[77].

❁ وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: صيغة مبالغة من البَتْر: أي القطع، يقال: بَتَرْت الشيء بَتْراً: قطعته قبل الإتمام. والأَبْتر: المقطوع الذَّنَب، يستعمل البتر في قطع الذنب ثم أُجري قطع العقب مجراه، فقيل: فلان أبتر إذا لم يكن له عقب يخلفه، فالأبتر من الدوابّ الذي لا ذَنَبَ له، والأبتر من الرجال: الذي لا ولد له[78].

والمراد بالأبتر في الآية: المنقطع عن الخير، أو الذي لا خير فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة[79].

وفي الآية الكريمة وجوه من الهدايات، منها:

❁ دلالة الآية الكريمة على المنزلة العظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث أجاب الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم من غير واسطة لما شتمه المشركون؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾، وهكذا سنة الأحباب، فإن الحبيب إذا سمع من يشتم حبيبه تولى بنفسه جوابه، فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم.

(76) الدر المصون: 11/ 128، 129، والسراج المنير: 4/ 695.

(77) لسان العرب لابن منظور: 4/ 101- 103، والمفردات في غريب القرآن: ص36. مادة (شنأ).

(78) الصحاح للجوهري: 2/ 584، 585، ولسان العرب لابن منظور: 4/ 37، 38، مادة (بتر). والمفردات في غريب القرآن: ص267.

(79) التفسير الوسيط للواحدي: 4/ 563، وزاد المسير: 4/ 498، والتحرير والتنوير: 30/ 576.

ISSN : 2410-1818

ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم تدل على مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه، ومن ذلك:

- لما قالوا: هو مجنون أقسم سبحانه ثلاثاً، ثم قال: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ ﴾ [القلم: 2].

- وحين قالوا: ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦ ﴾ [الصافات: 36] رد عليهم سبحانه فقال:﴿ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧ ﴾ [الصافات: 37] فصدقه، ثم ذكر وعيد خصمائه، فقال: ﴿ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ٣٨ ﴾ [الصافات: 38].

- ولما قالوا: ﴿ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾ [سبأ: ٧-٨] قال سبحانه: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨ ﴾ [سبأ: 8].

- ولما قالوا: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ ﴾ [الفرقان: 7] أجابهم فقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾[الفرقان: 20] فما أجل هذه الكرامة![80].

❁ دلالة ضمير الفصل (هو) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣ ﴾: على اختصاص شانئ النبي صلى الله عليه وسلم بالبتر وانفراده بذلك الوصف. حيث إنه "يجوزُ أَن يكون ضمير الفصل (هو) يكون مبتدأً، و(الأبترُ) خبره، والجملة خبر (إنَّ)، ويجوز أَن يكون فصلاً، والخبر (الأبتر)، والأحسن الأعرف في المعنى أن يكون فصلاً، أي: هو المنفرد بالبتر المخصوص به، لا رسول الله صلى الله عليه وسلم[81].

(80) التفسير الكبير للرازي: 32/ 125، بتصرف يسير.

(81) البحر المحيط: 8/ 521، والدر المصون: 11/ 126، والسراج المنير: 4/ 695.

ISSN : 2410-1818

❁ دلالة الآية الكريمة على أن مبغض النبي صلى الله عليه وسلم هو خاصة المنقطع عن كل خير، وذلك من وجهين:

الأول: أن الكفار لما وصفوه بذلك بيَّن الله تعالى أن الموصوف بهذه الصفة هو ذلك المبغض على سبيل الحصر فيه، فإنك إذا قلت: (زيد هو العالم) يفيد أنه لا عالم غيره[82].

الثاني: اشتمالها على جملة من المؤكدات: أحدها: تصدير الجملة بـ (إن)، ثانيها: الإتيان بضمير الفصل الدال على قوة الإسناد والاختصاص - كما سبق بيانه - ، ثالثها: مجيء الخبر على أفعل التفضيل دون اسم المفعول، رابعها: تعريفه باللام الدالة على حصول هذا الموصوف له بتمامه، وأنه أحق به من غيره، ونظير هذا في التأكيد قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ [طه: 68][83].

❁ أن الله تعالى لما بشر نبيه صلى الله عليه وسلم بالنعم العظيمة وعلم تعالى أن النعمة لا تهنأ إلا إذا صار العدو مقهوراً، لا جرم وعده بقهر العدو، فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾[84].

❁ في تعريف الأبتر بـ (أل) المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة، دلالة على اختصاص شانئ النبي صلى الله عليه وسم بهذه الصفة، كأنه قيل: الكامل في هذه الصفة[85].

❁ في مجيء (الأبتر) على صيغة (أَفعَل) دلالة على تناهيه في هذه الصفة[86].

❁ ومن الصور البديعية في الآية، مجيئها على الأسلوب الحكيم:

قال الطاهر بن عاشور: "والأسلوب الحكيم: تلقي السامع بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيهاً على أن الأحقَّ غيرُ ما عناه من كلامه. ذلك أن وصف الأبتر لما جيء به في الآية لمحاكاة قول القائل: "محمد أبتر" إبطالاً لقوله ذلك، وكان عرفهم في وصف الأبتر أنه الذي لا عقب له تعيّن أن يكون هذا الإبطال ضرباً من الأسلوب الحكيم، وهو تلقي السامع بغير ما يترقب بحمل كلامه

(82) التفسير الكبير: 32/ 125.

(83) مجموع الفتاوى لابن تيمية: 16/ 533.

(84) التفسير الكبير: 32/ 125، بتصرف وتلخيص.

(85) الدر المصون: 11/ 128، 129، والسراج المنير: 4/ 695، بتصرف.

(86) الدر المصون: 11/ 128، 129، والسراج المنير: 4/ 695.

ISSN : 2410-1818

على خلاف مراده؛ تنبيهاً على أن الأحقَّ غيرُ ما عناه من كلامه؛ كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: 189].

وذلك بصرف مراد القائل عن الأبتر الذي هو عديم الابن الذكر إلى ما هو أجدر بالاعتبار، وهو الناقص حظّ الخير، أي: ليس ينقص للمرء أنه لا ولد له؛ لأن ذلك لا يعود على المرء بنقص في صفاته وخلائقه وعقله. وهب أنه لم يولد له البتة، وإنما اصطلح الناس على اعتباره نقصاً لرغبتهم في الولد، بناء على ما كانت عليه أحوالهم الاجتماعية من الاعتماد على الجهود البدنية، فهم يبتغون الولد الذكور رجاء الاستعانة بهم عند الكبر، وذلك أمر قد يعرض، وقد لا يعرض، أو لمحبة ذِكر المرء بعد موته، وذلك أمر وهمي، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أغناه الله تعالى بالقناعة، وأعزّه بالتأييد، وجعل له لسان صدق لم يجعل مثله لأحد من خلقه، فتمحض أن كماله الذاتي بما عَلِمه الله تعالى فيه؛ إذ جعل فيه رسالته، وأن كماله العرضي بأصحابه وأمته؛ إذ جعله الله تعالى أولى بالمؤمنين من أنفسهم"[87]. والله تعالى أعلم.

تتمة مهمة:

في وجوه الإعجاز المتحققة في هذه السورة الكريمة كلها:

قال الرازي: "هذه السورة الكريمة مع قصرها وافية بجميع منافع الدنيا والآخرة، وذلك لأنها مشتملة على الإعجاز من وجوه:

أولها: أنا إذا حملنا (الكوثر) على كثرة الأتباع، أو على كثرة الأولاد، وعدم انقطاع النسل كان هذا إخباراً عن الغيب، وقد وقع مطابقاً له، فكان معجزاً.

وثانيها: أنه تعالى قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ وهو إشارة إلى زوال الفقر حتى يقدر على النحر، وقد وقع، فيكون هذا أيضاً إخباراً عن الغيب.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ وكان الأمر على ما أخبر فكان معجزاً.

ورابعها: أنهم عجزوا عن معارضتها مع صغرها، فثبت أن وجه الإعجاز في كمال القرآن إنما تقرر بها؛ لأنهم لما عجزوا عن معارضتها مع صغرها فبأن يعجزوا عن معارضة كل القرآن أَوْلى.

(87) التحرير والتنوير: 30/ 577، بتصرف يسير.

ISSN : 2410-1818

ولما ظهر وجه الإعجاز فيها من هذه الوجوه فقد تقررت النبوة، وإذا تقررت النبوة فقد تقرر التوحيد، وتقرر الدين والإسلام، وتقرر أن القرآن كلام الله تعالى، وإذا تقررت هذه الأشياء تقررت جميع خيرات الدنيا والآخرة، فهذه السورة جارية مجرى النكتة المختصرة القوية الوافية بإثبات جميع المقاصد، فكانت صغيرة في الصورة كبيرة في المعنى، ثم لها خاصية ليست لغيرها، وهي أنها ثلاث آيات، وقد بينا أن كل واحدة منها معجز، فهي بكل واحدة من آياتها معجزة، وبمجموعها معجزة[88].
والله تعالى أعلم.

(88) التفسير الكبير للرازي: 32/ 125، بتصرف.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فقد انتهيت بفضل الله تعالى من كتابة هذا البحث الذي طوفت فيه في رحاب الهدايات القرآنية في سورة الكوثر، وتوصلت إلى العديد من النتائج، ومن أهمها:

1- أن من أجل الأعمال: تدبر القرآن الكريم ومعايشته، والبحث في هداياته للوقوف على درر المعاني، ووجوه الإعجاز؛ لأنه أولا: قيام بواجب التدبر الذي أمرنا الله تعالى به. ثم هو ثانيا: مصباح ينير الطريق، ونور يغذي الأرواح، ويشرح الصدور.

2- أن هذه السورة الكريمة (سورة الكوثر) قد تضمنت على صغرها أجل المعاني وأبلغ الهدايات، على ما هو موضح في مواضعه، ويصعب إعادة ذكره هنا.

3- أن هدايات القرآن لا تنتهي ولا تتناهى، وهي بحر لا ساحل؛ لأنها مستنبطة من معين القرآن الكريم الذي لا ينضب، ولا يخلق على كثرة الرد.

وأخيرا: أوصي الباحثين بمزيد من الدراسات حول هدايات القرآن الكريم؛ لأنها الغذاء الذي يطبب النفوس، والبلسم الذي يخفف عنها قسوة الماديات التي أصبح عصرنا يعج بها في كل جوانب الحياة.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع

1) الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، ط/ دار الفكر، بيروت، 1996م.
2) أحكام القرآن: لابن العربي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت. 1996 م.
3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
4) أسباب النزول: للنيسابوري، ط/ مكتبة الدعوة، القاهرة، بدون تاريخ.
5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي، ط/ دار الفكر، بيروت، 1996م.
6) بحر العلوم: للسمرقندي، ط/ دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
7) البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان، ط دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
8) البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي، ط/ وزارة الأوقاف المغربية، 1990م.
9) التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، ط/دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، بدون تاريخ.
10) التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي الكلبي، ط/ دار الكتاب العربي، لبنان، 1983م.
11) التعريفات: للجرجاني، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
12) تفسير القرآن العزيز: لابن أبي زمنين، ط/ الفاروق الحديثة، القاهرة، 2001م.
13) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ط/ المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.
14) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م.
15) تفسير القرآن: للسمعاني، ط/ دار الوطن، الرياض، السعودية، 1997م.
16) التفسير الكبير: للرازي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، 1421 هـ.
17) تفسير عبد الرزاق، ط/ مكتبة الرشد، الرياض، 1410 هـ.
18) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري، ط/ دار الفكر، بيروت، 1405هـ.
19) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، ط/ دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.
20) جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي، ط/ مكتبة التراث، مكة المكرمة، 1987م.
21) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: للثعالبي، ط/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ.
22) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: للشهاب الخفاجي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

ISSN : 2410-1818

23) حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي: لشيخ زاده، ط/ مكتبة الحقيقة، تركيا، 1991م.
24) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، 1994م.
25) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، ط/ دار الفكر، بيروت، 1993م.
26) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: للآلوسي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
27) زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت 1404هـ
28) السراج المنير: للخطيب الشربيني، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.
29) سنن الترمذي: للترمذي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
30) السنن الكبرى: للبيهقي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
31) شرح النووي على صحيح مسلم، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ.
32) الصحاح: للجوهري، ط دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
33) صحيح البخاري: للإمام البخاري، ط/ دار ابن كثير، بيروت، 1987م.
34) صحيح مسلم: للإمام مسلم، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
35) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.
36) فتح القدير: للشوكاني، ط/ دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
37) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي، بيروت، 1412هـ.
38) الكشاف: للزمخشري، ط/ دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.
39) الكشف والبيان: للثعلبي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م.
40) لباب التأويل: للخازن، طبعة دار الفكر، بيروت، 1979م.
41) اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
42) لسان العرب: لابن منظور، ط/ دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
43) مجموع الفتاوى: لابن تيمية، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، 1995م.
44) المحرر الوجيز، لابن عطية، ط/ دار الكتب العلمية، لبنان، 1993م.
45) المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
46) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: للبقاعي، ط/ مكتبة المعارف، الرياض، 1987م.
47) معالم التنزيل: للبغوي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

ISSN : 2410-1818

48) معاني القرآن: للفرَّاء، ط/ دار السرور، بيروت، بدون تاريخ0
49) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، ط/ دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
50) مقاييس اللغة: لابن فارس، ط/ دار الفكر، بيروت، 1979م.
51) الموافقات في أصول الشريعة: للشاطبي، ط/ دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
52) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
53) النكت والعيون: للماوردي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
54) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية: د/ طه عابدين، ط/ مكتبة المتنبي، الدمام، 2017م.

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلـــس للعلـــوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـــم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيـــم الدولـــي الورقـــي :ISSN :2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـــة مفهرســـة فـــي المواقـــع الآتيـــة :

العام	2020	2021	2022	2023	2024
معامل أرسيف	0.0366	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068
معامل التأثير العربي	1.60	1.60	1.73	1.25	1.55